التعليل البلاغيّ عند عبد القاهر الجرجانيّ في كتابيه الدلائل والأسرار

الباحثة: فاطمة داود عطوان

أ. د. هناء عبد الرضا الربيعي

جامعة البصرة_ كلية التربية للعلوم الإنسانية _ قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

كان عبد القاهر الجرجاني في نظراته الثاقبة في اعماق التراكيب البلاغية رائدا للبلاغيين في مجال العلة والتعليل ،فقد لجأ في كتابيه (الاسرار والدلائل)الى تعليل الظواهر والاحكام ،إذ جمع في تعليله في ضوء حقائق ومبادئ نفسية بين الجانبين العقلي والعلمي والجانب البلاغي الذوقي، والعلل التي ذكرها الجرجانيّ في كتابيه انحدرت عنده من مصادر متعدّدة، فبعضها كان منحدراً ممّا ورد عند علماء الأصول، وبعضها ورد عند النحاة في مصنّفاتهم، فهم قد أشاروا إليها وعدّوها ممّا يطّرد في كلام العرب، وتنساق بموجبه قوانين اللغة، فهي علل مستوحاة من واقع اللغة، ومتّصلة بها اتصالا مباشراً، إذ نجدها ظاهرة في كثير من استعمالات العرب لأساليبها وفنونها في القول، فعبد القاهر لم تكن غايته إظهارِ العلل تحقيقاً لغاية التفنّن والبراعة في استنباط العلل واستعراض تقسيماتها، وإنّما كانت غايته سوق تلك التعليلات لتفسير الأحكام والقضايا المهمّة والعالقة التي تعترضه، وفيها اشكالات مطروحة من السابقين.

الكلمات المفتاحية : تعليل ، علل، القياس، العلة ، عبد القاهر، الفكر البلاغي.

The Reason and its Location from the Measurement in the Rhetorical Thought of Abdul-Qaher Al-Jerjani

Researcher: Fatima Dawood Atwan
Prof. Dr. Hanaa Abdul-Redha Raheem
Dept. of Arabic, College of Education for Human Sciences, University of Basrah

Abstract:

Abdul-Qaher Al-Jerjani and his insightful views were in the depths of these compositions that were a pioneer of the rhetoric in the field of reason and explanation. In his books (Secrets and Evidences), he resorted to explaining phenomena and judgments, where he combined his explanations in the light of facts and psychological principles between the mental, scientific and rhetorical aspects. Most of the reasons explained by Abd al-Qaher did not state the types of causes that he accounted for, because the labels did not interest him as much as he was concerned with presenting the reason and confirming it.

Key words: **explanation, Abdul-Qaher, measurement, reason, rhetorical thought.**

مقدّمة:

إنَّ الحديثَ عن(التعليل البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه الأسرار والدلائل) يعني الحديث عن العلةِ البلاغية الموجودة عنده، وموضوع التعليل بحد ذاته ليس بجديد في الدرس اللغوي فقد دُرس قرآنياً ولغوياً ونحوياً (١)، ولكنه في الدرس البلاغي لم ينل ذلك الاهتمام الذي ناله في سواه من علوم اللغة المختلفة، فهو يعدّ موضوعاً بكراً في بابه.

إنّ العلّة تشكل جزءاً مهماً من القياس عند علماء الفلسفة والمنطق والأصوليّن وكذا النحويين ؛لأنها ركن أساس إلى جانب الأصل والفرع والحكم، أما البلاغيون فهم يؤسسون على علم النحو ولا سيما عبد القاهر الجرجاني ،فأول نظرية يطرحها هي نظرية (النظم) القائمة على النحو، فهي ضمنية سواء كان القياس ضمنياً أم ظاهرياً، وأنّه صرح بكثير من أنواع القياس في كتابيه منها القياس العقلي، والقياس التخييّلي(٢)، وكأنّه يحاول تفسير العلة واظهارها، ويبين أثرها النفسي معتمداً على إظهار الجانب الحسي والذوقي من النحو .

- **المبحث الأول :**

_ العلّة (لغةً)و(اصطلاحاً):

العلّة في اللغة ما يتغيّر حكم غيرها بها، ومن ثَّم قيل للمرض علّة لأنّه يغيّر حال المريض، ويقال للداعي الى الفعل علّة له(٣)،وتأتي العلّة ً بمعنى الشِرْبة عند سقي الإبل، فيُقال: عَلَّ القومُ إبلَهم يُعلّونَها عَلاًّ، وعَلَلاً والإبل تعلُّ نفسَها عَلَلاً، حيث الشربة الأولى تُسمَّى (النَهْل)، والشربة الثانية تُسمَّى (العَلَل)، فقيل: عَلَلٌ بعد نَهْل (٤)،وقيل العَلّ هو الشرب بعد الشرب تباعاً، ويُقال أيضاً: الأمّ تعلّل الصبيّ بالمرق والخبز ليجتزئ به عن اللبن(٥).

والعلّة هي أمر عقليّ يبيّن الأسباب التي اقتضت أن يجري الكلام على ما أُجْرِيَ عليه(٦)، وهي تقع على ما يتعارفه الناس ويشيع بينهم (٧)، وتأتي عادة متأخّرة عن المعلول عكس (السبب) الذي يأتي متقدّماً على المسبّب لأنّه يكون موجباً لوقوعه فلا يتأخّر عنه(٨)

أما العلة في المعنى الاصطلاحي فهي ((**الوصف المؤثّر بذاته في الحكم**))(٩)، وقيل: بأنّها الباعث على الحكم أو الداعي له، وفي لفظ آخر: ((**هي الموجب للحكم بذاته بناء على جلب مصلحة أو دفع مفسدة قصد الشارع**))(١٠)، وبذلك تعرّف العلة عند الأصوليّين بأنّها مُعرِّفة للحكم، إذ بوجودها يوجد الحكم.

والعلة هي : كلّ وصف حلّ في محلّ وتغيّر به حاله معاً فصار المحلّ معلولاً، أو هي عبارة عن ذلك الموجود الذي يتوقف عليه موجود آخر ، وإنْ لم يكن وحده كافياً لتحققّه.

وتعدّ (العلّة) واحدة من اهتمامات الجرجانيّ في مؤلّفاته البلاغيّة- وهو ما سنوضحه لاحقاً- إذ أولاها عناية فائقة لا نبالغ إذا قلنا أنّ ما قدّمه فيها يشكّل أساساً لمن جاء بعده من البلاغيّين.

- مفهوم (العلّة) عند الجرجاني:

يتفق الجرجانيّ مع أصحاب كتب الإعجاز القرآنيّ في أنّ معرفة سبب الإعجاز أمر ضروريّ للوقوف على تميّزه على ما سواه من النصوص وجماليّته، فهو يرى أنّ الوقوف على العلل أمر ضروري لمعرفة الخصائص واللطائف التي اشتمل عليها النصّ القرآني، هذه اللطائف التي لا يمكن الوقوف عليها إلا من خلال علم البيان: ((**وجملة الأمر أنّه ...لا يُعلم أنّ ها هنا دقائق وأسراراً طريق العلم بها الرويّة والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هُدوا إليها، ودلّوا عليها، ... وأنّها السبب في أن عرضت المزيّة في الكلام، ووجب أن يفضل بعضه بعضاً، ... حتّى ينتهي الأمر إلى الإعجاز وإلى أن يخرج من طوق البشر**))([11])، فهذه اللطائف والأسرار هي معانٍ نشأت عند تركيب الكلام على وفق صيغ مختلفة، وأساليب متعدّدة، وهي أغراض يراد إثباتها أو نفيها على وجه من دون وجه آخر، وهي متباينة وإن تشابهت؛ لذلك كانت من الدقائق والأسرار التي لا يلتفت إليها الا النبيه الفطن، فهي غير متاحة لجميع المتصدّين لهذا النوع من البحث؛ ممّا يجعل مهمّة الوصول إليها أصعب وأعسر.

وتعدّ (العلّة) واحدة من اهتمامات الجرجانيّ في مؤلّفاته البلاغيّة- وهو ما سنوضحه لاحقاً خلال مباحث الرسالة- إذ أولاها عناية فائقة لا نبالغ إذا قلنا أنّ ما قدّمه فيها يشكّل أساساً لمن جاء بعده من البلاغيّين، فمفهومها يأخذ مداه للكشف عن أسباب الحسن التي تؤدي إلى المفاضلة بين الكلام والوقوف على أسباب الاستحسان ((... **فانظر إلى الأشعار التي أُثنوا عليها من جهة الألفاظ، ووصفوها بالسلامة، ونسبوها إلى الدَّماثة، وقالوا: كأنَّها الماءُ جَرَياناً، والهواءُ لُطفاً، والرياضُ حُسْناً، وكأنها النَّسِيم، وكأنها الرَّحيقُ مِزاجها التَّسْنِيم، وكأنها الديباج الخُسْرُوانيّ في مَرامي الأبصار، ووَشْيُ اليمَن منشوراً على أذْرُع التِّجَار**))([12])، فهو يدعو إلى التفكّر بدقّة للوصول إلى علّة الاستحسان، فالنظر الدقيق هو الذي يؤدّي إلى معرفة العلّة، وفي ذلك إلماح من الجرجانيّ أيضاً إلى أنّ العلة على الرغم ممّا تحقّقه في الكلام من فائدة فهي لا تظهر الظهور الكامل في كلّ أنواع الفنون البلاغيّة([13]).

الأمر الآخر الذي ينبّه إليه الجرجانيّ هو أنَّ العلّة كما يُبْحَثُ عنها في علم النحو للوصول إلى قانون الإعراب وقاعدته كذلك يُبحث عنها عند سماع الفنون البلاغيّة ومعرفة أغراضها والتأثر بها لمعرفة وجه استحسان الكلام وتفضيله على سواه، وهذا تأصيل واضح لمفهوم العلّة واستثمار لوجودها في الدرس البلاغيّ تحقيقاً للفائدة، إذ يقول: ((**وجملة ما أردت أن أبينه لك أنّه لا بد لكلّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلّة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحّة ما ادعيناه من ذلك دليل**))([14])، وهذه القاعدة العامّة التي يضعها الجرجانيّ تعتمد على قابليّة الشخص على الاجتهاد والتدقيق للوصول إلى علّة الكلام، فيستطيع بذلك تحديد الغرض من إيقاع الفعل، أو سبب وقوعه.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

وقد حاول الجرجانيّ أنّ يعزّز رأياً نفيساً يعدّ من أقوى الأدلّة على ما تمتّع به العلماء والمفكرون والباحثون العرب القدامى من نزعة الاجتهاد ونبذ التقليد والتواني والكسل الفكريّ؛ فهو يقرّ بصعوبة إدراك العلّة في كلّ ما يشعر به الذوق من لطائف ومزايا ولكنّه لا يرى ذلك ذريعة مقبولة في ترك البحث عن العلّة واستكشاف المجاهيل واستنباط القوانين(١٥)، إذ يقول في ذلك: ((**واعلم أنّه ليس إذا لم يكن معرفة الكلّ وجب ترك النظر في الكلّ، وأن تعرف العلّة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قلّ فتجعله شاهداً فيما لم تعرف أحرى من أن تسدّ باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهم وتعوّدها الكسل والهوينا**))(١٦)، فمعرفة العلّة هي السبيل الذي يأخذ بيدك للوقوف على ما لا تعرف قانونه وقاعدته وهذا الأمر مهم وضروري نظره في علم ينظر إلى لطائف ومزايا ذوقيّة وحسيّة وليست قوانين جامدة وقواعد ثابتة. وهذه النزعة إلى الاجتهاد ودقّة النظر يبدو أنّه أخذها من الجاحظ فقد كان يسنده فيها قوله: ((**وكلام كثير قد جرى على ألسنة الناس وله مضرّة شديدةٌ وثمرةٌ مرةٌ، فمن أضرّ ذلك قولهم: لم يدع الأول للآخر شيئاً، فلو أنّ علماء كلّ عصر مذ جرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لِما لم ينته إليه عمّن قبلهم لرأيت العلم مختلاً**))(١٧)، فمن خلال هذا الكلام كان الجاحظ يسأل جميع الناس بطبقاتهم عمّا يريد أنّ يفهمه، فقد كان شعاره: ((**إذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم أنّه ما يريد أنّ يفلح**))(١٨).

إنّ الوقوف على العلّة – من وجهة نظر الجرجانيّ– يكشف عن أسباب الحسن التي تؤدي إلى المفاضلة بين الكلام، والوقوف على أسباب الاستحسان، ((**... ثمّ انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفاً، إلا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصابت غرضها، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتّى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقرّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ...**))(١٩)، فالاستحسان لا يقع إلا لسبب وعلّة من حصول أثر يقع موقعه في القلب كالاستعارة التي تصيب الغرض وتستقر في الأذن، أو من خلال الترتيب والتكامل في المعنى، ووصول الألفاظ إلى السمع بسهولة ويسر، وهذا الأمر يتطلّب شحذ البصيرة، وكثرة التأمّل، والابتعاد عن التجوّز في الرأي؛ وذلك لسلامة الكلام من التكلّف والحشو.

وبذلك فإنّنا لو أوجزنا الفائدة المتحقّقة من الوقوف على العلّة عند – الجرجانيّ – لوجدنا أنّها تفيد في:

– معرفة الجهة التي كان بها فضل الاستحسان في الكلام.

– إنّها تحسم كثيراً من جهات الفساد التي يشكّك فيها الآخرون من لغة التنزيل.

– إنّها تصلح مواضع الخلل في التأويل.

– إنّها تؤمن من الوقوع في الغلط، وفي الدفاع عمّا تؤمن.

ومن هنا يأتي خطرها وأهميتها في الدرس البلاغيّ؛ لتعلّقها بالنصوص البيانيّة العالية من النصّ الشعريّ الذي يوصل إلى الوقوف على النصّ القرآنيّ وقدسيّته، أو النصّ القرآنيّ ذاته.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

– المبحث الثاني :

– نماذج من العلل التي يوردها الجرجانيّ لأصناف الكلام:

– علّة إثبات الدليل:

الإثبات في اللغة هو تأكيد الحقّ بدليل، يقال: (أثبت حجّتهُ)، أي أقامها وأوضحها([٢٠])، والاثبات في الاصطلاح هو الاعتماد على القناعة الوجدانية التي لا يمكن أن تتحدّد بدليل دون غيره ([٢١])، فكلّ دليل يصلح لأن يكون دليل إثبات، والإثبات يعني إقامة الدليل، وهذه العلّة تعدّ واحدة من العلل التي أشار إليها الجرجاني دون غيره، فهي مبتكرة عنده، إذ يقول: **((اعلم أنّ سبيلك أولا أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدّعي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إيّاها))**([٢٢])، ويفسّر هذه العلّة بقوله: **((تفسير هذا أن ليس المعنى إذا قلنا: (إنّ الكناية أبلغ من التصريح) أنّك لمّا كنّيت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى أنّك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشدّ، فليست المزية في قولهم: (جمّ الرماد) أنّه دلّ على قرى أكثر، بل المعنى أنّك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق))**([٢٣])، فالكناية في حقيقتها ليست ذات الشكل المادي التعبيري فحسب، بل تجاوزها إلى ما وراء الحقيقة االنفسية، فمجيئها هنا إنّما هو بمثابة برهان ودليل لتلك الحقيقة النفسيّة، ولإنّ الكناية بدورها هي طريقة من طرائق البلاغة، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية ببرهانها، ولا شكّ في أنّ ذكر الشيء مصحوب ببرهان أوقع في النفس، وأكثر تأكيد لإثباته، وبذلك يمكننا القول إنّ المبالغة ليست هي العلّة عند الجرجانيّ وإنّما إثبات الدليل وزيادة الإثبات هما العلّة.

ويعطي الجرجانيّ أمثلة أخرى على ظواهر تحقّقت فيها هذه العلّة، منها قوله: **((... وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك: (رأيتُ أسداً) على قولك: (رأيتُ رجلاً لا يتميّز من الأسد في شجاعته وجرأته) أنّك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أنك أفدت تأكيداً وتشديداً وقوّة في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك لها، فليس تأثير الاستعارة إذاً في ذات المعنى وحقيقته بل في إيجابه والحكم به))**([٢٤])، فالجرجانيّ يتحدّث هنا عن الاستعارة، وأنّها تعمل على (إيجاد الثبوت)، وأنّها بأدائها (دليل) يقطع بوجوده، وعلى أساس هذه العلّة يتم قياس مثيلاتها من الظواهر عليها: **((وهكذا قياس التمثيل ترى المزية أبدا في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه، فإذا سمعتهم يقولون إنّ من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني نبلاً وفضلاً، وتوجب لها شرفاً، وأن تفخمّها في نفوس السامعين، وترفع أقدارها عند المخاطبين فإنّهم لا يريدون الشجاعة والقرى وأشباه ذلك من معاني الكلم المفردة، وإنما يعنون إثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له ويخبر بها عنه))**([٢٥])، فهذه الاساليب تكون مفيدة في إثبات المعنى بالدليل والحجّة وبه تميّزت عن غيرها؛ ولهذا يُؤتى بها في مقام الحجاج والاستدلال، وهو أمر لا

يعني أنّ أسلوب الحقيقة أو التشبيه مثلاً لا يصل إلى بلاغة المجاز والاستعارة وإلا خلا القرآن الكريم منها، فالعبرة من استعمال الأسلوب الأمثل يستدعي الإثبات والدليل للوقوف على مواطن الوضوح والإبانة.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

وتتحقّق هذه العلّة في (الكناية)، في قول الجرجانيّ: ((**أمّا الكناية فإنّ السبب في أن كان للإثبات بها مزيّة لا تكون للتصريح، أنّ كلّ عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أنّ إثبات الصفة باثبات دليلها، إيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً. وذلك أنّك لا تدّعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يُشكّ فيه، ولا يُظنّ بالمخبر التجوّز والغلط**))(٢٦)، فالكناية وما فيها من تكثير للمعنى ومزية الإثبات غير الموجودة في التصريح، فسببُ ذلك هو في أنَّ كلَّ متلقٍ يبحث الأمر في ذاته، ويقلّبُه على أكثر من وجه، عندها سيعلم ما هو الأنسب لكلامه، وهذا المعيار يعدّ واحداً من المعايير الجماليّة التي تنبّهَ لها الجرجاني في وقتٍ مبكرٍ، وهو أنّ الشاعرَ إذا أراد أنْ يعبّرَ عن معنى معينٍ، إنما يبحثُ له عن صورةٍ تجسّد المعنى الذي يريد على أبلغ وجهٍ. وبذلك يمكن القول بأن علة اثبات الدليل تحققت في الاستعارة والكناية والتمثيل وهذه العلّة لم يتطرّق لها أحد قبل عبد القاهر ولا بعده.

– علّة ارتياح النفس:

ارتباح النفس والأريحيّة هي صفة تجعل الإنسان يرتاح إلى بذل العطاء، والأفعال الحميدة، وعمل المعروف، إذ ليس المقصود بها الراحة البدنية التي تتحقّق بعد التعب من خلال اتباع أساليب متعارف عليها بين البشر، وإنّما هي شعور النفس بالسرور والنشاط، هذه العلّة النفسيّة لجأ إليها الجرجانيّ لتفسير وقوع بعض الظواهر البلاغيّة في الكلام، إذ يقول:((**... فقد شبّه الحسود إذا صُبِر عليه، وسُكِتَ عنه، وتُرك غيظُه يتردّد فيه بالنار التي لا تُمَدُّ بالحطب حتى يأكُلَ بعضها بعضاً، ممّا حاجتهُ إلى التأوُّل ظاهرة بيّنة. فقد تبيّن بهذه الجُملة وجه الفرق بين التشبيه والتمثيل في أنّ التشبيه عامّ والتمثيل أخصّ منه، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً**))(٢٧)

ومن هذا الباب أيضاً أورد الجرجانيّ **قول البحتري:**

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتحٍ ضريبا

هو المرء أبدتْ لهُ الحادثات عزما وشيكا، ورأيا صليبا

يقول الجرجانيّ: ((**فإذا رأيتها قد راقتك، وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازًا في نفسك؛ فعد فانظر في السبب، واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنّه قدّم وأخر، وعرّف ونكّر، وحذف وأضمر،**

وأعاد وكرّر، وتوخّى على الجملة وجهًا من الوجوه التي يقتضيها علم النحو؛ فأصاب في ذلك كلّه، ثم لطُف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة))([٢٨]).

وتدخل هذه العلّة ضمن العلل النفسيّة لأسباب يفسّرها الجرجانيّ بقوله: ((**فأوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم**))([٢٩])، فقد أشار الجرجاني إلى مجيء التمثيل في أعقاب المعاني، وإلى بروزها باختصار في معرضه، ونقلها عن صورها الأصلية إلى صورته، فهذه الفكرة أقرب إلى الفكرة التي بدأ بها، وهي التمييز بين جوهر المعنى وصورته.

- علّة الاستحسان:

هو عدّ الشيء حسناً، وهو ضدّ الاستقباح، يقـــال استحسنت كذا، أي أعتقدته حسناً، ويقال أيضاً: هذا ممّا استحسنه المسلمون، أي ممّا عدوه حسناً([٣٠])، وقد يُطْلَقُ على ما يهواه الإنسان ويميل إليه وإن كان مستقبحاً عند غيره، أو هو ما يستحسنه المجتهد بعقله، وهو دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعد العبارة عليه ولا يقدر على إظهاره ([٣١])، أي إنّه تعليل ولكن من غير دليل، فهو يعتمد الذوق الحسّي.

عمل الجرجانيّ على استخراج علّة الاستحسان من العديد من الظواهر البلاغيّة، وتفسيرها، وقد دلّ عليها في نماذج مختلفة، من أمثلة التجنيس، فقد حلّلها في أنواع مختلفة منه كي يثبت شموليّة ما ذكره من علّة، وامكانيّة تطبيقها على كلّ جزئيّات الظاهرة، إنّ من شروط العلّة عند عبد القاهر أنْ ترتبط بالمعاني من حيث ارتباطها بالحسن الذي يقع في الكلام، وهذا الاستحسان عائد إلى المعاني: ((**وأما التطبيق- يقصد الطباق- والاستعارة وسائر أقسام البديع، فلا شبهة أنَّ الحُسْن والقُبْح لا يعترض الكلامَ بهما إلاّ من جهة المعاني خاصّةً، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيبٌ، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيدٌ وتصويب**)) ([٣٢])، وهو يعني بالتطبيق(الطباق) وكأنه يرى أنّ الاستعارة قسمٌ من أقسام البديع؛ لأنّه يرى أنّ البلاغة علمٌ واحدٌ تتشعّب أبحاثه، وهذا يعني أنّ رؤية عبد القاهر البلاغية في الجمع بين التطبيق والاستعارة، بأنّه جعل البديع من المظاهر البلاغية التي تشكّل عنده أدلّة الكلام وأسرار بلاغته، ثم نجد أنّ المقصود بالمعاني هي المعاني الثواني أو المعاني الشعرية التي تأتي عن طريق الصياغة، أي من النظم يختلف عن المعنى الذي قال عنه الجاحظ: ((المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها الناس، وأنّها مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية))([٣٣]).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

- علّة إنكار النفس:

وهي عكس علة الارتياح، وقد استعرض الجرجاني في شرحه هذه العلّة موقفاً حكي عن أحد النقّاد وما أخذه من موقف من شعر لأحد الشعراء وانكاره لشعره لعلّة، فيستعرض الجرجاني هذه الحكاية بقوله: ((**ومما يدخل في ذلك ما حكي عن الصاحب من أنه قال: كان الأستاذ أبو الفضل يختار من شعر ابن الرومي وينقط عليه قال فدفع إلي القصيدة التي أولها (الطويل):**

أتحت ضلوعي جمرة تتوقدُ

وقال: تأملها فتأملتها فكان قد ترك خير بيت فيها وهو:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمدُ

فقلت: لم ترك الأستاذ هذا البيت. فقال: لعل القلم تجاوزه، قال ثم رآني من بعد فاعتذر بعذر كان شراً من تركه، قال: إنّما تركته لأنّه أعاد السيف أربع مرات))([٣٤])، فالعلّة التي تعلّل بها أبو الفضل عن تركه هذه الأبيات وعدم استحسانه لها أنّ الشاعر كرّر اللفظ أربع مرّات، وقد ردّ هذا الرأي الصاحب بن عبّاد بأنّ مدار الحسن في الكلام جاء بسبب هذا التكرار للمعاني، ولكن من دون توضيح لماهيّة هذه العلّة، وهنا يأتي الجرجاني ليفسر لنا العلّة التي أوجبت الحسن في الكلام مؤيّداً رأي الصاحب وشارحاً له، إذ يقول: ((**والأمر كما قال الصاحب والسبب في ذلك أنك إذا حدثت عن اسم مضاف ثم أردت أن تذكر المضاف إليه فإن البلاغة تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمره، وتفسير هذا أن الذي هو الحسن الجميل أن تقول: (جاءني غلامُ زيدٍ وزيدٍ)، ويقبح أن تقول: (جاءني غلامُ زيدٍ)))**([٣٥]).

وهو يردّ على من ذهب الى أنّ العلّة غير ذلك، فهي عند سواه لأمن اللبس، موضّحاً خطأهم في الذهاب الى هذا الرأي وإن كان يشكل عليهم، ((**وقد يُرى في بادىء الرأي أنّ ذلك من أجل اللبس، وأنّك إذا قلت: (جاءني غلامُ زيدٍ) وهو كان الذي يقع في نفس السامع أنّ الضمير للغلام، وأنّك على أن تجيء له بخبر إلا أنّه لا يستمر من حيث إنّا نقول: (جاءني غلمانُ زيدٍ وهو) فتجد الاستنكار ونبوّ النفس مع أن لا لبس مثل الذي وجدناه، وإذا كان كذلك وجب أن يكون السبب غير ذلك))**([٣٦])، ومردّه في الذهاب إلى هذه العلّة آراء العلماء السابقين، ((**والذي يوجبه التأمل أن يردّ إلى الأصل الذي ذكره الجاحظ من أن سائلاً سأل عن قول قيس بن خارجة: (عندي قرى كلّ نازل، ورضى كلّ ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب، آمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع)، فقال: أليس الأمر بالصلة هو النهي عن التقاطع))**([٣٧]).

- علة تحسين الكلام:

الكلام كائن حيّ روحه المعنى وجسمه اللفظ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثّل، والجسم جماداً لا يحسّ، هذه الفكرة استوعبها الجرجانيّ بشكل كامل وعبّر عنها في أكثر من موضع من كتابيه

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

البلاغيّين، إذ قال: ((**واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه، والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق، وينضمّ بعضها إلى بعض حتّى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذيّة، وسعة الذرع وشدّة المنّة حتى تستوفي القطعة**))(٣٨)، فالكلام الحسن النظم يشبه أجزاء الصبغ التي تتلاحق، وينضمّ بعضها إلى بعض حتّى تكبر وتصبح قطعة نصّ متلاحم، تتلاحم جمله، وتتماسك في نسيج واحد.

هذا التماسك يكون قويّاً إذا عبّر اللفظ فيه عن معنى حسن؛ ويؤدي التحسين هذا لاحقاً إلى إيضاح المعنى وتحسين اللفظ، من ذلك قوله: ((**قالوا إنه يصح أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون أحدهما فصيحا والآخر غير فصيح كأنهم قالوا إنه يصح أن تكون هاهنا عبارتان أصل المعنى فيهما واحد ثم يكون لإحداهما في تحسين ذلك المعنى وتزيينه وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى**))(٣٩)

وكذلك يقول : ((**إن قلنا: إنه مجازٌ من حيث اللغة، صرنا كأنَّا نقول: إن اللغة هي التي أوجبت أن يختصَّ الفعلُ بالحيِّ القادر دون الجمادِ، وإنها لو حَكَمَتْ بأنّ الجماد يصحّ منه الفعل والصُّنْعُ والوشيُ والتزيين، والصِّبْغ والتحسين، لكان ما هو مجازٌ الآن حقيقةً**)(٤٠)

- **علّة (حسن الإفادة):**

يرى الجرجانيّ أنّه من أسباب تفضيل كلام على آخر أنّه أكثر فائدة من سواه، فعلّة الأفضليّة تعود إلى زيادة فائدة النصّ بشكل أفضل من سواه، وهو أمر يتبيّن من خلال الرجوع إلى المعنى، فقد تحدّث عن ذلك من خلال فنون بلاغية عدّة، فقد استعرض الجرجانيّ هذه العلّة في أثناء حديثه عن (التجنيس) وأهميته الكبيرة في الشعر العربيّ فهو يُكسب الكلام حسناً زائداً يمكّنه في ذهن السامع، ويثبّته في عقله، وأنّ ما أوجب هذه الفضيلة هو أمر – بحسب الجرجانيّ– عائد إلى اللفظ والمعنى، إذ يقول: ((**إنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحق**))(٤١)، وعلّة هذه الفضيلة هي تحقيق إفادة المعنى للمتلقي، يقول الجرجانيّ: ((**إنّ النكتةَ التي ذكرتها في التجنيس وجعلتها العلّة في استجابة الفضيلة وهي حسن الإفادة مع أنّ الصورة صورة التكرير والإعادة وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه، إلا في المستوفى المتفق منه**))(٤٢)، وهنا إشارة واضحة من الجرجانيّ إلى أنّ العلّة لا تظهر في جميع أنواع الظاهرة البلاغة وبالقوّة نفسها وإنّما قد تظهر وقد تختفي بحسب النوع البلاغيّ.

ومن الأمثلة التي ظهرت فيها هذه العلّة بوضوح عند الجرجانيّ قول الشاعرأبي تمام : ((

من ماتَ من حدثِ الزمان فإنّهُ   يحيى لدي يحيى بنِ عبد الله (٤٣)

وقد **وضّح الجرجانيّ آليّة هذه العلّة التي حقّقت الحسن للمتلقي من حيث إنّك تتوهم أن يرد عليك آخر الكلمة كالألف في يحيى أنّها هي التي مضت، وقد أرادت أن تجيئك ثانية، وتعود إليك مؤكّدة، حتّى إذا تمكّن في نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها انصرفت عن ظنّك الأوّل، وزلت عن الذي سبق التخييل**

فيه))(٤٤)، فقد حلّل هذا البيت تحليلاً نفسياً، وأطلق على ما حصل فيه بأنّه التأثير من نوع الخداع في الجناس؛ لأنّ جمال الجناس يرجع إلى هذا الخداع، بحيث جعلنا الشاعر نظن أنّ الكلمة الأولى هي الكلمة الثانية نفسها، ولكن سرعان ما ننتبه إلى أنّها غيرها، ولكنها تعطينا معنىً جديداً غير مرتقب، وهو أمر يعود إلى النفس وليس لصوت الحرف الحِسِّي(٤٥)، وبهذا فإنّه يلوّح إلى أنّ الإكثار من الجناس صار مذموماً لكثرة ما فيه من الخدع، وكثرتها في النصوص تجعل المتلقي يركّز على جرس الكلمات المتقاربة، وإذا ما اعتاد المتلقّي طلب الفائدة فإنّه سينصرف ذهنه إليها، ويطلبها سمعه، وبهذا يكون قد فاته كثير من محاسن الكلام التي لا تُدرك إلا بالتأمّل التامّ لكلّ كلمات النصّ(٤٦)، فكأنّ الجرجانيّ يرى أنّ الفائدة التي تحقّقت من التجنيس في البدء هي التأكيد؛ وذلك من خلال ورود الكلمة في الذهن لأوّل مرّة فتتصوّر أنّها قد تكرّرت ولكن عند التركيز فيها ترى أنّها قد اعطتك فائدة إضافيّة، فأزالت وهمك بالتكرار وبذلك يتمّ حصول الفائدة في ذكرها.

أمّا الفائدة المتحقّقة من هذا الأسلوب في العرض للمعنى مثلما يرى الجرجانيّ: ((**ورأيتَ الآخر قد أعَادَ عليك اللفظةَ كأنه يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يَزِدْك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها**))(٤٧)، فقد جاءت الزيادة هنا من الخداع اللفظي، فبهذه السريرة صار التجنيس – وخصوصاً المستوفَى منه المُتَّفَقَ في الصورة – من حُلَى الشّعر، ومذكوراً في أقسام البديع لما يصنعه في الكلام من خداع يماثل ما تصنعه فنون البديع.

والجرجانيّ يذكر (السجع) لاحقاً للتجنيس، ويشمله بما سبق من الكلام مع علّة حسن الإفادة في (التجنيس)، ويذكر أمثلة للسجع الحسن في الكلام بسبب هذه العلّة، إذ يقول: ((**ومثال ما جاء من السجع هذا المجيءَ وجرى هذا المجرى في لِين مقَادته، وحلَ هذا المحلِّ من القَبُول قولُ القائل: اللّهم هَبْ لي حمداً، وهَبْ لِي مجداً، فلا مجدَ إلا بِفَعالٍ، ولا فَعَال إلاّ بمال**))(٤٨)، فالسجع هنا وقع بين لفظتي (حمداً، ومجداً)، ولفظتيّ (فعّال، ومال)، والمعنى هنا اكتسب صفة القبول أو الحسن الذي استدعاه المعنى وساقه له.

ويرى الجرجانيّ أنّ هذه العلّة هي أساس في نظم الكلام وقبوله، وفي رفض الحشو منه وردّه على قائله، فهو يقول: ((**وأمّا الحشو فإنما كُرِهَ وذُمَّ وأُنْكر ورُدَّ؛ لأنّه خلا من الفائدة، ولم يَحْلَ منه بعائدةٍ، ولو أفاد لم يكن حشواً، ولم يُدْعَ لغْواً، وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من القَبُول أحسنَ موقعَ، ومُدْركاً من الرّضَى أجزلَ حظّ، وذاك لإفادته إيَّاك، على مجيئه مجيءَ ما لا يعوّلَ في الإفادة عليه، ولا طائل للسامع لديه، فيكون مَثَلُه مَثَلَ الحَسَنَةِ تَأتيك من حيث لم ترقبها، والنافعةِ أتتك ولم تحتسبها، وربّمَا رُزِقَ الطُّفَيْليُّ ظَرْفَاً يحظَى به حتى يحلَّ محلّ الأضياف الذين وقعَ الاحتشاد لهم والأحباب الذين وُثِقَ بالأُنس منهم وبهم**))(٤٩)، فالحشو إذا ارتبط بالفائدة فإنّه يكون حسناً في الكلام ويخرج عن كونه أمراً مستكرهاً، فهو من خلال كلامه لم يقصد عرض أنواع البديع وإنما اراد التأكيد على مدار الحسن والقبح فيما مرده للمعنى وليس للفظ، وهذا يرجع إلى أن سابقيه اشاروا إلى أنّ جماله حسيّ لفظيّ (٥٠).

وقد استعمل الجرجانيّ هذه العلّة لبيان أفضليّة البيت الشعريّ بناء على الفائدة المتحقّقة فيه، ومن ذلك قوله: ((**أمّا التجنيس فإنّك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيداً، أتراك استضعفتَ تجنيس أبي تمام في قوله:**

ذَهَبَت بمُذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَقت فِيهِ الظُّنُونُ: أَمَذْهَبٌ أم مُذْهَب

واستحسنتَ تجنيس القائل: "حتى نَجَا من خَوفِهِ وَمَا نَجا"، وقول المحدَث:

ناظِــراه فيما جَنَى ناظِــراه أوْ دَعانِي أمُتْ بما أَودعَــانِي

لأمرٍ يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنّك رأيتَ الفائدة ضَعُفَت عن الأوّل وقويتَ في الثاني؟ ورأيْتَك لم يزدك بمَذْهب ومُذهب على أن أَسْمَعَكَ حروفاً مكررةً، تروم فائدة فلا تجدُها إلا مجهولةً منكرةً، ورأيتَ الآخر قد أعَادَ عليك اللفظةَ كأنّه يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنّه لم يَزِدْك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس– وخصوصاً المستوفَى منه المُتَّفَقَ في الصورة – من حلى الشّعر، ومذكوراً في أقسام البديع))([٥١])، فإنّ تأثير التجنيس وقع في أمر مناجاته للنفس، أي أنّ المستمع إذا سمع اللفظة الأولى ثم استقرّ معناها في نفسه، ثم سمع لفظة أخرى من نفس جنسها وجرسها أيقضأ ذلك تساؤلاً في نفسه عن سبب ذلك التكرار، وجعله يتطلّع إلى معنى الثانية ويقارنها بها، فإن أدّت له معنى جديداً حصلت لذة في النفس نتيجة لذلك الإدراك ([٥٢]).وهذه العلّة تعدّ من العلل المبتكرة من الجرجانيّ إذ لم يسبقه في الحديث عنها أحد.

– علّة (الخفّة والثقل):

وردت هاتان العلّتان عند اللغويّين والنحاة كثيراً، وفُسّرت بموجبهما الكثير من الظواهر اللغويّة التي لها وجود في اللغة العربية في كافّة مستوياتها، ومفهومها قائم على رفض الثقل النطقي لكونه علّة أثّرت تأثيراً واضحاً في الذوق السمعيّ، إذ كان الثقل سبباً للجوء إلى النقيض منه وهو الخفّة ([٥٣]). وطلب الخفّة أو التخفيف يعدّ مظهراً من مظاهر التفسير اللغويّ الذي ينبني عليه الذوق الاستعمالي للغة ([٥٤]).

فعلّتا الخفّة والثقل من العلل التي راعتها العرب في كلامها؛ إذ إنّ المتكلّم يرغب في الخفّة ويتجنّب الثقيل في الكلام، فتجنّبوا الثقل في العبارة، أو الكلمة، أو الحرف، أو الحركة، فالقصد من هذه العلّة تحصيل الخفّة في الكلام، والابتعاد عمّا يثقله، وإلا كيف يكون التخفيف هو عين الاستثقال، قال ابن جنّي: ((**أمّا إهمال ما أُهمِلَ ممّا تحتملُه قسمة التركيب في بعض الأصول المتصوّرة أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال، وبقيته ملحقة به، ومقفّاة على إثره**))([٥٥]).

وقد وردت هذه العلّة عند عبد القاهر الجرجانيّ في كتابيه، ممّا يدلّ على أنّه يراعي ما شاع عند العرب واتصل بطباعهم، فالتخفيف أو كراهة الثقل ممّا أسّسه القدماء في قواعد لغتهم، فقد كانوا يميلون إلى اختيار الأخفّ إذا لم يكن مخلاً بكلامهم؛ ولهذا كانوا يتجنّبون الثقيل من الأصوات في مفردات الألفاظ في كثير من المسائل أو القضايا المهمّة، وقد أشار الجرجانيّ إلى الثقل في قوله: ((**أنّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك**

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر))[٥٦]، فالثقل الواقع في الكلمات إنّما يعود إلى نظم الكلام وسياقه.

ومن أمثلة ما فسّره الجرجانيّ بهذه العلّة ما ورد من لفظة (الأخدع) في بيت الحماسة[٥٧]:

تَلفتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتّى وَجَدْتُنِى وَجِعْتُ مِن الإصْغَاء لِيتاً وأخْدَعَا

وقول البحتري[٥٨]:

وإنّي وأنْ بَلَّغْتَني شَرَفَ الغِنَى وأعْتَقْتَ مِن رِقّ المَطَامِعِ أخْدَعِي

فاللفظة وقعت في موضعها الحسن في هذين البيتين، ولكن عند مقارنتها بمواضع أخرى لشعراء آخرين نجدها ثقيلة على النفس، تسبّب كدراً في الذوق عند الاستماع إليه، من أمثلة وروده في قول أبي تمّام [٥٩]:

يا دَهْرُ قَوِّم مِن أخْدَعَيْكَ، فقد أضْجَجْتَ هَذَا الأنَامَ مِن خُرُقِكْ

يقول الجرجانيّ عن كلمة (الأخدع): ((**... فإنّ لها من هذين المكانين ما لا يُخفى من الحسن، ثم إنّك تتأملها في بيت أبي تمّام... فقد تجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروحِ والخفة والإيناس والبهجة**))[٦٠].

فالجرجانيّ حين أشار إلى الثقل في الكلمات أراد أن يبيّن أنّ الكلمات من الممكن أن تكون موحشة ومثقلة في مواضع ولا يصرّح بها لملاءَمة معنى اللفظة مع معنى اللفظة التي تليها، وكذلك من الممكن أن نجد كلمات أخرى في مواضع أخرى تروقنا وتؤنسنا وهي ثقيلة في ذاتها، فالمتأمل بها يجد لها من الثقل في النفس والتنغيص أضعاف ما وجده في مواضع الخفّة والبهجة، وحينها تكون مقبولة أو حسنة في موضع وأحياناً تكون مستكرهة في مواضع أخرى.

ومن ذلك أيضاً لفظة (الشيء) في قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي[٦١]:

وَمن مالىءِ عينيهِ مِن شيءِ غيرهِ إذا راحَ نحْوَ الجَمْرةِ البيضُ كالدُّمَى

ومقارنته يقول أبي حيّة النميريّ[٦٢]:

إذا مـــا تَقاضَى المَرْءَ يومٌ وليلةٌ تقاضـــــــاه شيء لا يملُّ التقاضِـــــــيَا

والنتيجة التي يصل إليها من خلال تفسير ما حصل في البيتين السابقين وبالذات من خلال ورود كلمة (شيء) فيهما: ((**فإنّك ترى حسنها ومكانها من القبول والبهجة، فهي من حيث اللفظ واستحقاق المزية في ذاتها فقد كانت إمّا أن تحسن دائماً أو لا تحسن أبداً. ففي الخفّة تكمن البلاغة، وبذلك يسمو الكلام حتى يصل إلى قوّة السحر في التأثير، حيث تكون أشدّ وقعاً في النفس وأتمّ بياناً**))[٦٣]، فعلّة الخفّة التي حقّقتها اللفظة في موضع لأسباب متعدّدة هي السبب في الحسن الذي تحقّق في البيت الشعريّ.

وهذه العلّة وإنّ كانت موجودة عند سابقي الجرجانيّ ولكنّه أضاف إليها بأنّ صحّح بعض الآراء المتعلّقة بمفهومها، فقد استعرض مجموعة من الآراء المتعلّقة بها ورأى أنّها آراء غير صحيحة، من هذه الآراء:

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

– إنّ الثقل لا يكون على درجة واحدة وإنّما هو متدرّج على شكل طبقات، إذ قال: ((**ويزعم أنّ الكلام في ذلك على طبقات: فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه كالذي مضى، ومنه ما هو أخفّ منه كقول أبي تمام:**

كريم متى أمدحه أمدحه والورى جميعاً ومهما لمته لمته وحدي

ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان إلا أنه لا يبلغ أن يُعاب به صاحبه ويشهر أمره في ذلك ويحفظ عليه))(٦٤).

– إنّ الكلام إذا خلا من الثقل كان فصيحاً مشاداً به، إذ قال: ((**ويزعم أنّ الكلام إذا سلم من ذلك وصفا من شوبه كان الفصيح المشاد به والمشار إليه**))(٦٥).

– إنّ صفاء الكلام أيضاً يكون على مراتب، إذ قال: ((**وإنّ الصفاء أيضا يكون على مراتب، يعلو بعضها بعضاً، وأنّ له غاية إذا انتهى إليها كان الإعجاز**))(٦٦).

وهذه الآراء جميعاً ردّها الجرجاني، إذ قال: ((**والذي يبطل هذه الشبهة إن ذهب إليها ذاهب أنا إن قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها وإذا فعلنا ذلك لم نخل من أحد أمرين إما أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرج على غيره وإما أن نجعله أحد ما نفاضل به ووجها من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام فإن أخذنا بالأول لزمنا أن نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز إلا به**))(٦٧)

– علّة العناية والاهتمام:

تحدّث عبد القاهر عن علّة العناية والاهتمام في أكثر من موضع من كتابه (دلائل الاعجاز)، من أمثلة ما ذكره في موضوع (التقديم والتأخير)، وقد أشار إلى أمثلة متنوعة فيه، وقد تابع الجرجانيّ ما ذكره سابقوه في هذه العلّة من أنّ التقديم يكون لغرض العناية والاهتمام بالمقدّم، ناقلاً في كتابه ما قيل في هذا الشأن، مظهراً أسماء العلماء الذين تأثّر بكلامهم في هذا الباب، من أمثلة ما ذكره عن سيبويه، إذ قال: ((**واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم**))(٦٨)، والعلّة وإن كانت معتمدة عند الجرجانيّ إلا أنّه انتقد مسألة عدم إيراد سيبويه مثالاً ساندأ لما يقول: ((كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا))(٦٩)

فالجرجانيّ على الرغم من أنّه تابع سيبويه في رأيه لكنّه يرى أنّ مجرى العناية والاهتمام في الكلام هو مجرى معنويّ؛ لكون هذه العلّة علّة معنوية تهتمّ بشكل كبير ببنية الألفاظ، فتكون من العلل التي تستوجب تركيباً خاصاً بها لتعطي صورة واضحة لما يراد التعبير عنه.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

ويؤكّد الجرجانيّ في أكثر من مناسبة أنّ هذه العلّة ممّا استثمره هو من الدرس النحويّ ليقوم بتوظيفه في الدرس البلاغيّ، فقد نقل لنا قول النحاة في التقديم، إذ قال: ((**وقال النحويون: إنّ معنى ذلك أنّه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يُعلم من حالهم في حال الخارجيّ يخرج فيعيث ويفسد، ويكثر به الأذى، أنّهم يريدون قتله، ولا يبالون مَنْ كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء. فإذا قُتل، وأراد مريد الإخبار بذلك،..**))(٧٠)، والنحاة – مثلما لاحظنا – قد استدلّوا بأمثلة ساندة لما ذكروه من علّة العناية بالمقدّم والاهتمام به عكس سيبويه الذي يعدّ ممهداً لمن جاء بعده؛ وكأنّ الجرجاني يحفظ الحقوق لمن سبقه على وجه الدقّة من حيث الاستعمال للعلّة أو التطبيق لها.

وقد أقرّ الجرجانيّ صحّة وقوع هذه العلّة في الكلام، مقتنعاً بما ذكره سابقوه، ولكنّه أضاف إلى ما ذكروه من ضرورة بيان موضع العناية لأيّ سبب هو كان، وما أثره في المعنى، ولا نكتفي بالقول إنّه قُدّم للعناية فقط، فقال: ((**وقد وقع في ظنون النّاس أنّه يكفي أن يُقال: ((إنّه قُدّم للعناية، ولأنّ ذكره أهم)) من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهمّ؟**))(٧١)، ويشخّص الجرجانيّ هذا التهاون بتفسير هذه العلّة قد أدّى إلى التهاون بأمر هذا الفنّ البلاغيّ المهمّ (التقديم والتأخير)، والتقليل من شأنه ومن شأن تأثيره في تغيّر المعنى البلاغيّ، إذ قال: ((**... ولتخيّلهم ذلك، قد صغر أمر التأخير والتقديم في نفوسهم، وهوّنوا الخطب فيه حتّى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبّعه والنّظر فيه ضرباً من التّكلف، ولم ترَ ظنّاً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه**))(٧٢).

وقد حاول الجرجانيّ معالجة ما وقع فيه سابقوه مركّزاً على أهمية العناية والإهتمام، وأنّها ذات نسق لغويّ يتطابق مـــع المعنى القائم في النفس، ولكن ينبغي تفسير هذه العلّة عند وقوعها في الكلام؛ وهذا السبب فقد أعاد تفسير ما ذكره النحاة من مواضع هذه العلّة بما ينسجم مع المعاني البلاغيّة فقال: ((**فإن كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أنّه يقتل فقتل رجلاً وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنّه يقدّم ذكر القاتل فيقول: قتل زيدٌ رجلاً ذاك؛ لأنّ الذي يعنيه ويعني الناس من شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظنّ، ومعلوم أنّه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعاً من الذي وقع منه، فهذا جيد بالغ إلا أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كلّ شيء قُدّم في موضع من الكلام، مثل هذا المعنى ويفسّر وجه العناية فيه هذا التفسير**))(٧٣)، فذكر عبد القاهر في النصّ الآليّة التي ينبغي التعليل بهذه العلّة من خلالها، وكيفيّة تفسير النصوص بها من خلال مثال تطبيقيّ، مركّزاً في ذلك كلّه على أهمية هذه العلّة (هذا جيّد بالغ)، وضرورة تفسيرها بالشكل المطلوب (ينبغي أن يعرف ...مثل هذا المعنى ويفسّر وجه العناية فيه هذا التفسير).

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

- علّة كثرة الاستعمال:

وهي واحدة من العلل التي أشار إليها عبد القاهر ضمناً، واستعملها في الحذف، فتعليل الحذف بكثرة الاستعمال اعتمده النحاة بكثرة مقارنة بالبلاغيين، إذْ إنّه أكثر الأسباب التي يفسّرون بها الظاهرة، فنجدهم يعلّلون حذف ياء المتكلم في النداء لكثرة الاستعمال ومنه قوله تعالــى: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾(٧٤) ، وأيضًا حذف نون الفعل بعد حرف الجزم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٧٥)، ويقــول الله عز وجل: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ ﴾ (٧٦).

وعبد القاهر الجرجاني حين تحدّث عن الحذف، لم يهتم كثيراً باستقصاء كلّ مواضع الحذف، بل وجّه اهتمامه إلى بيان بلاغة الحذف والوظيفة التعبيرية التي يؤديها الكلام، واكتفى بالحديث عن حذف المبتدأ، وحذف المفعول به، وكلاهما من الأسماء، و يقول الجرجاني: ((**ومن المواضع التي يطّرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف**))(٧٧)، وقال أيضاً: ((**هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبن**))(٧٨).

ومن خلال حديث الجرجانيّ عن التنافر والتباين في التشبيه يعرض لهذه المسألة أيضاً، إذ يقول: ((حتّى كلّما كان مكان الشَبَه بين الشيئين أخفى وأغمضَ وأبعدَ من العُرْف، كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين وأحسنَ وأكثرَ في الاستعمال))(٧٩)، فهو يشير إلى التباين والتنافر في أطراف التشبيه أكثر قدرة على شدّ المتلقي، وإثارته واستفزازه لما في هذا التنافر من غموض يحرّك العقل والحسّ معاً، فالجرجانيّ أدرك أهمية الغموض بأنماطه المختلفة في التشبيه وغيــره فــي تشكيل بنية النصّ الإبداعيّ.

- علة الكراهة أو الاستكراه:

الكراهة مصدر مأخوذ كرُهَ يَكرُه ، كَرَاهةً وكراهيةً ،وكرهُ الشيء كُرْهًا وكَرْهًا وكَراهةً وكراهِيَةً وكراهيَّةً ومكرّهة ومُكرهة (٨٠)، وقد جعل بعضهم الكراهة على النقيض من الندب، بمعنى أنّ ترك المندوب يؤدي إلى المكروه، أو لا يؤدي ؟ فذهب البعض إلى أنّه يؤدي، وذهب البعض الآخر إلى أنّه لا يؤدي (٨١)، وقال الجرجاني: ((**وذلك أنا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى أن تسلم من نحو ما تجده في بيت أبي تمام:**

كريم متى أمدحه أمدحه والورى

فتكرار الحُروف- حروف الحلق- إنّما يدلّ على سلامة المعنى واختيار الألفاظ، فقد عطف الكلام على تكرار الحروف، وهذا من فصاحة اللفظ، ولكنّه ربطه بالتكرار اللفظيّ الذي ظهر في المصراعين جميعًا، بيد أن التكرار وحده لا ينهض علّة لعيب البيت إلا أن يُضاف إليه ما في حروف الكلمة المكررة من التنافر، وهذا مستكره في اللفظ))(٨٢)

ومثله بيت ابن يسير:

وانثنت نحو عزف نفس ذهول

قال الجرجانيّ: ((وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز، ولا بعزيز الوجود، ولا بالشيء لا يستطيعه إلا الشاعر المفلّق، ... ونحو ذلك ممّا إذا رامه المتكلّم صعب عليه تصحيح المعاني، وتأدية الأغراض، فقولنا: أطال الله بقاءك، وأدام عزّك، وأتمّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه عندك، لفظ سليم ممّا يكدّ اللسان وليس في حروفه استكراه))([٨٣])، فاستكراه اللفظ قد لا يرجع إلى تكرار الحروف المتماثلة وإنّما قد يكون اللفظ مستكرهاً في ذاته فيكون ذلك مدعاة إلى الوقوع في اضطراب النظم، وتفكّك التأليف، إذ إنّ النظم خلاصة لتفاعل المعاني مع الألفاظ، ويتأكّد ذلك في حديث الجرجانيّ عن النظم في مستوى المعاني كما يبيّنه قوله مشيراً إلى ((**من قد تعبّد للمعاني وتعوّد نظمها وتنضيدها، وتأليفها وتنسيقها. واستخراجها من مدافنها وإثارتها من اماكنها علموا انهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير من قد خولوه قليلا ممايكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم في طلبه واختلاف الى اهله**))([٨٤])

وهذه العلّة كانت سبباً لاستكراه السجع في الكلام، يقول الجرجانيّ: ((**... وهو أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى وذلك محال؛ لأنّ الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك وهو أنّه يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ، فصعوبة ما صعّب من السجع هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ، وذاك أنّه صعب عليك أن توفّق بين معاني تلك الألفاظ المسجّعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافاً لها فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع، وبعد أن تلطّفت على الجملة ضرباً من التلطف**))([٨٥])، والعلّة في ذلك أن يكون تلاؤم الحروف معجزاً وأن يكون اللفظ دالاً ؛لأنّ مراعاة التعادل تصعب وخاصّة إذا احتيج معه مراعاة المعاني.

إنّ هذا الترابط الدلاليّ بين الألفاظ والمعاني، أو بين العلامات الصوتية هو في ذهن عبد القاهر قائم اعتماداً على أسبقية المعاني الذهنية على الدلالات الصوتية، فالمعاني هي التي تُعَرفُ أولاً وبعد ذلك يأتي ترتيب الألفاظ.

-علّة اللطف:

معنى اللطف الرأفة والرفق واللين، أو هو ما يقرّب المكلَف معه من الطاعة، ويبعده عن المعصية، ولا حظ له في التمكين ([٨٦])، إنّ الشرط الأساس في اللطف: أنْ لا يبلغ حدّ القهر والإلجاء، بل يكون المكلّف مع وجود هذا اللطف مختاراً في فعل الطاعة وترك المعصية، ودليل ذلك أنّ (الاختيار) هو الشرط الأساس للتكليف، وبما أنّ بلوغ اللطف حدّ القهر والإلجاء ينافي الاختيار، فلهذا يُشترط أنْ لا يبلغ اللطف حداً يُنافي الاختيار ([٨٧]).

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

وتعدّ هذه العلّة واحدة من العلل العقليّة التي اعتمدها الجرجاني في تفسير بعض الظواهر البلاغيّة، منها التمثيل وحديثه عن علّة وقوعه، إذ قال: ((**وها هنا إذا تأمّلنا مذهبٌ آخر في بيان السبَب المُوجِب لذلك، هو ألطفُ مأخذاً، وأمكنُ في التحقيق، وأولى بأن يُحيط بأطراف الباب، وهو أنَّ لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير مَحِلّته، واجتلابه إليه من الشِّقِّ البعيد باباً آخر من الظَّرف واللُّطف، ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل، ولذلك تجد تشبيهَ البَنَفْسَج في قوله:**

ولازَوَرْدِيــّةٌ تزهُــو زُرقــتهــا بين الرّياض على حُمْرِ اليواقيت
كأنّها فوق قاماتٍ ضَعُفنَ بــهــا أوائــلُ الــنار في أطراف كبريت

أغربَ وأعجبَ وأحقَّ بالوَلُوع وأجدرَ من تشبيه النرجس بمداهن دُرّ حشوهن عقيق، لأنّه أراك شبهاً لنباتِ غَضٍّ يَرِفُّ، وأوراق رطبةٍ ترى الماءَ منها يشِفُّ، بلهَب نارٍ في جسمٍ مُسْتَوْلٍ عليه اليبس، وبَادٍ فيه الكَلَف. ومَبْنَى الطباع وموضوعُ الجِبِلَّة، على أنّ الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدنٍ له، كانت صَبَابةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشَّغَف منها أجدر))[٨٨]، فكان المناسب للشاعر أن يشبّه صورة أزهار البنفسج وهي على سيقانها بما يناسبها من الأزهار، إذ هو الذي يتبادر إلى الذهن عند استحضار صورة البنفسج، ولكنّه شبهها بصورة النار في أطراف الكبريت أول شبوبها، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تعلّق أجرام صغيرة لطيفة، ذات لون خاص على شكل خاص بجرم دقيق الساق يخالفها لوناً. فصورة النار في أطراف الكبريت غير نادرة الحضور في الذهن؛ إذ إنّها في متناول عامّة الناس، واقعة بين أيديهم وأرجلهم، لكنها تندر عند استحضار صورة البنفسج وهو على سيقانه لما بينهما من عدم التجانس، وبعد الموطن، فهذا زهر ندي لطيف، وذاك لهب حارّ عنيف، وهذا يسكن الخمائل، وذاك يستوطن المنازل، فبعد ما بين الطرفين .

- علّـــــــــة التكلّف والمبالغة:

المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه، ومثاله من القرآن قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى ﴾[٨٩]، ولو قال: (تذهلُ كلّ امرأة عن ولدها) لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة، وإنّما خصّ المرضعة للمبالغة؛ لأنّ المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً، وعلى حسب القرب تكون المحبة والألف [٩٠].

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤ (ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

ومن المبالغة أيضاً قوله تعالى: ﴿ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً﴾(٩١)، إذ لو قال: (يحسبه الرائي) لكان جيداً، ولكنّه لمّا أراد المبالغة ذكر الظمآن؛ لأنّ حاجته إلى الماء أشدّ، وهو على الماء أحرص (٩٢).

أمّا التكلف فهو: ((**طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة، فالكلام إذاً جُمع وطُلب بتعب وجهد، وتناولت ألفاظه من بعد، فهو متكلّف**))(٩٣).

وعند عبد القاهر الجرجانيّ فقد جاءت المبالغة في الزيادة في المعنى بعيدة عن التكلّف، فقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بـ(زيادة المعنى) أيّما اهتمام، واتخذ منه معياراً للمفاضلة بين كلام وكلام في كثير من المواضع، منها ما جاء في أثناء بيانه لدقائق التشبيه المركب، إذ قال: ((**إنّ قوله:**

دُون التَّعانُق ناحلَين كَشَكْلَتَي نَصْبٍ أَدَقَّهُما وضَمَّ الشاكلُ

لا يكون كقوله:

إنّي رَأيتُك في نَومي تُعانِقُني كما تُعانِقُ لامُ الكَاتِبِ الألِفَا

فإنّ هذا قد أدى إليك شكلاً مخصوصاً لا يتصوّر في كلّ واحد من المذكورين على الانفراد بوجه وصورة لا تكون مع التفريق، وأمّا المتنبي فأراك الشيئين في مكان واحد، وشدّد في القرب بينهما، وذاك أنّه لم يعرض لهيئة العناق ومخالفتها صورة الافتراق، وإنّما عمد إلى المبالغة في فرط النحول ...، والأول لم يعنَ بحديث الدقّة والنحول، وإنّما عني بأمر الهيئة التي تحصل في العناق خاصّة من انعطاف أحد الشكلين على صاحبه، وأجاد وأصاب به أحسن إصابة؛ لأنّ خطّي اللام والألف في (لا) ترى رأسيهما في جهتين، وتراهما وقد تماسّا من الوسط، ولئن كان المتنبي قد زاد على الأول فليس تلك الزيادة من حيث وضع الشبه على تركيب شكلين، ولكن من جهة أخرى، وهي الإغراق في الوصف بالنحول، وجمع لك للخليلين معاً، ثم إصابة مثال له من الخط))(٩٤).

ونستخلص من هذين البيتين بما فيها من زيادة في المعنى، واختيار البيت الثاني على الأول لما في الثاني من بحث واستقصاء للمعنى والوصف ليس في الأول؛ وبذلك يشير عبد القاهر إلى ترسيخ القياس (زيادة المعنى)، وبيان ما فيه من اهميّة جماليّة في كثير من أساليب الأداء.

ومثاله أيضاً قول ابن المعتّز(٩٥):

ماتَ الهَوى منّي وضاعَ شَبابي وقَضَيتُ من لذاتِهِ آرابي

وإذا أردتُ تَصابياً في مَجلِسٍ فالشيبُ يَضحَكَ لي مع ألأصْحابِ

يقول الجرجانيّ: ((... فعلّة زيادة المعنى ليست واقعة في معنى الضحك مثلما قال الشاعر دعبل في بيته الشعريّ: (ضحك المشيب برأسه فبكى)، وإنّما هذه الزيادة في قول ابن المعتّز تتبيّن في أنّه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجّب من تعاطي الرجل ما لا يليق به، وفيه تكلّف للشيء ليس فيه، وبذلك يكون قد أخفى صورة التشبيه، وأخذ النفس بتناسيه(٩٦)، فالضحك هنا هو قرينة أو لازمة من لوازم (المشبّه به) الذي أخفاه من خلال التكلّف الذي ينعدم فيه، فكأنّه قد أخفى التشبيه لضرورة وهي الزيادة في المعنى.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

والزيادة في التفصيل في إثبات أمر معلوم ومتعارف في الوصف، ثمّ يطلب له علّة وسبباً، مثاله ما وقع في قول الشاعر دعبل الخزاعي ([٩٧]):

لـــم أَرَ صَفا مثلَ صَفّ الزُّطّ تِسْعِين منهم صُلِبوا في خطّ
مِنْ كـــل عـــالٍ جِذْعُه بالشطّ كأنّه فـــي جِـــذْعِـــه المُشْتَطّ
أخو نُعاس جَدَّ في التمطّى قد خـــامـــر النـــومَ ولـــم يَغِطّ

فالذي وقع هنا هو المبالغة في الزيادة ، فهي علّة الكلام، فقوله: (جدّ في التمطي)، شرطٌ لا يتمّ التشبيه إلا به، وهو تركيب يدلّ على مواصلة الأمر واستمراريّته، إلا أنّه في اشتراط المواصلة من الفائدة ما ليس في هذا، وذلك أنّه يجوز أن يبالغ ويجتهد ويجدّ في تمطيه، ثم يدع ذلك في وقت ما، ثمّ يعود إلى الحالة التي يكون عليها في السلامة ممّا يدعو إلى التمدّد، فصورة التمطّي وهيئته الخاصّة هي الدالة على الفائدة من هذه العبارة، وهي الدالّة أيضاً على زيادة معنى، وهو بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها([٩٨])، فالزيادة هنا وقعت في صفة الأصل الذي بُني عليه الكلام، وزيادته عن المعنى المطلوب للاستمرار والإدامة لتلك الحالة، وهذا الوصف يُعزى إلى أن يكون فيه اجتهاد وإن كان مبالغاً فيه، فهو يريد أن يوصل لنا صورة المبالغة في الزيادة معنى الفائدة التي جاءت من أجلها العلّة، وزيادتها عن معنى الأصل، شرط أن تتواصل وتستمرّ هذه الحالة إلى أن تصل إلى حدّ التمدّد لبلوغ غايتها.

ثم إنّه وقعت هناك مبالغة في زيادة أخرى، وهي أخص ما يقصد من صفة المصلوب، وهي الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها، في قوله: (قد خامر النوم ولم يغط)، ((فهو وإن كان كأنّه يحاول أن يرينا هذه الزيادة من حيث يُقال: (إنّه إذا أخذه النعاس فتمطّى) مبلغ قوله: (مواصل لتمطيه)، وتقييده من بعد بأنّه (من الكسل)، واحتياطه قبل بقوله: (فيه لوثته)))([٩٩])، ففي هذه الأبيات نجد واقعاً فعلياً هو أكبر وأكثف من أيّ تجارب تستطيع تحقيقها عدا تلك التي نحقّقها في خيالنا أحياناً،فلا نستغرب من وجود أمور غير مألوفة في صورة الشخص الذي يبعد النعاس عن جسده وهو يتمطّى، فكلّ ذلك يشكّل قوّة كامنة في الكلام، تحرّك هذه الأبيات، وتفرض سيطرتها عليه بالكامل، والإجادة في رسم هذه الأبيات من قبل الشاعر جاءت متتابعة ومترادفة من خلال أبيات القصيدة.

قال الجرجانيّ في المبالغة: ((**فإن قلت كيف تكون الاستعارة من أجل التشبيه، والتشبيه يكون ولا استعارةَ؛ وذلك إذا جئتَ بحرفه الظاهر فقلت زيد الأسد، فالجواب أنّ الأمر كما قلتَ، ولكنّ التشبيه يحصُل بالاستعارة على وجه خاصٍّ وهو المبالغة، فقولي: من أجل التشبيه، أردتُ به من أجل التشبيه على هذا الشرط، وكما أنّ التشبيه الكائنَ على وجه المبالغة غَرَضٌ فيه وعِلَّة، كذلك الاختصار والإيجاز غَرَضٌ من أغراضها**))([١٠٠]).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

-علّة موافقة الطباع:

الطبع هو سجيّة الإنسان وجبلّته التي طُبِعَ عليها، في مأكله، أو مشربه، أو في أخلاقه: حزونته، وعسره، ويسره، وشدّته، ورخاوته، وبخله، وسخائه ([١٠١]).

والطبع هو أثر يثبت في المطبوع ويلزمه، فهو يفيد معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم؛ ولهذا قيل: طُبِعَ الدرهمُ طبعًا، وهو الأثر الذي يؤثره فلا يزول عنه ([١٠٢])، وقد قرنه الجرجانيّ مع الحواسّ التي يدرك بها الإنسان كلّ ما يحيط به، فهي منافذ العقل، وبداية كلّ علم، إذ قال عبد القاهر: ((**إنّ المتقدّمين تركوا فضل العناية بالسجع، ولزموا سجيّة الطبع، وجعلوا المعاني هي المالكة لسياسة الألفاظ، فجاء آلامهم أمكن فـــــــي العقول وأبعد عن النفور، وأنصر للجهة التي تنحو منحى العقل**))([١٠٣])، فالجرجانيّ يرجع أمر العناية بالسجع في الكلام إلى سجيّة الطبع التي ألفها العرب في جعلهم المعاني هي الأساس في اختيار الألفاظ.

ويعلّل عبد القاهر تحقّق اللذّة الحقيقيّة والمتعة العميقة بما يشعر به الإنسان بعد التفكير، والمعاناة، وبذل الجهد لإيجاد المجهول، ومعرفة باطن الأمور، فمن ((**المركوز في الطبع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزِيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأَشْغَف**))([١٠٤])، فالمعاني لا تسفر عن وجهها، ولا تنكشف لك، إلّا بعد التأمّل الدقيق والمراجعة الطويلة، فيكون لها من حسن الأثر في النفس، ما لا يكون لو تمّ حصولها من غير عناء.

وفسّر الجرجانيّ آليّة التأثّر النفسيّ، وارتباط الطباع بإرسال الإيعازات إلى العقل، إذ قال: ((**ومعلومٌ أنّ العلم الأوّل أتى النفسَ أوّلاً من طريق الحواسّ والطباع، ثم من جهة النظر والرَّويَّة، فهو إِذَنْ أمسُّ بها رَحِماً، وأقوى لديها ذِمَماً، وأقدم لها صُحْبة، وآكدُ عندها حُرمة، وإذْ نقلتَها في الشيء بمَثَله عن المُدرَك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب ما يُدرَك بالحواسّ أو يُعلَم بالطَّبع، وعلى حدّ الضرورة، فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غيرَ ممثَّل ثم مَثَّلَه كمن يُخبر عن شيء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: ها هو ذا، فأبصِر تجده على ما وصفتُ**))([١٠٥])، فالحواسّ هي التي أسهمت في الة الشكّ والريب؛ لما لها من تأثير في تأكيد الخبر، إذ مهما ثبتت المعاني وتيقن منها المتلقي إلا أنّ التعويل على المحسوسات في المشابهة أولى وأحقّ لكونها تفيد زيادة قوّة ومزيد إيضاح ([١٠٦]).

إنّ أكثر البلاغيين فسّروا الظواهر البلاغيّة اعتماداً على ما تؤثّره في الطباع، فذهبوا –مثلاً– إلى أنّ المتشابهين كلّما كان التباعد بينهما أتمّ كان التشبيه أحسن، وسبب ذلك قول عبد القاهر: ((**ومَبْنَى الطباع وموضوعُ الجِبِلَّة على أنّ الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدِنٍ له، كانت صَبَابةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشَّغَف منها أجدر، فسواءٌ في إثارة التعجُّب، وإخراجك إلى روعة المستغربِ، وُجودُك الشيءَ من مكان ليس من أمكنته، ووجودُ شيءٍ لم يُوجَد ولم يُعرَف من أصله في ذاته وصفته، ولو أنه شَبَّه البنفسج ببعض النبات، أو صادف له شبهاً في شيء من المتلوّنات، لم تجد**

له هذه الغرابة، ولم ينل من الحسن هذا الحظ))([١٠٧])، فهو يربط بين غرابة التشبيه ومقدار التأثير الذي يكون في المتلقي من خلال الدهشة التي يولّدها، حين يدرك أنّ ثمة أشياء متباعدة، بلا علاقة ظاهرة تربط بينهما، قد تجمعت وتآلفت على نحو لافت وغريب ([١٠٨]).

ممّا سبق كلّه نجد أنّ العلل التي ذكرها الجرجانيّ في كتابيه (الأسرار، والدلائل) قد انحدرت عنده من مصادر متعدّدة، فبعضها كان منحدراً ممّا ورد عند علماء الأصول، وبعضها ورد عند النحاة في مصنّفاتهم، فهم قد أشاروا إليها وعدّوها ممّا يطّرد في كلام العرب، وتنساق بموجبه قوانين اللغة، فهي علل مستوحاة من واقع اللغة، ومتّصلة بها اتصالاً مباشراً، إذ نجدها ظاهرة في كثير من استعمالات العرب لأساليبها وفنونها في القول.

خاتمة البحث ونتائجه:

العلة البلاغية باب لم يُسبق أنّ تم فتحه، وما ورد في الكتب البلاغية المؤسسة بقي محفوظاً دون أنّ تمسّه يد، ومهمتنا كانت هي اعادة بعث التراث من خلال دراسة هذا الموضوع الذي تمخض عن نتائج هي:

_ يعدّ الجرجاني من أوائل المؤسسين لأصول الدرس البلاغي والمحدّدين لمفهوم العلّة في هذا الدرس، فقد اوضح البحث أنّه وضع مفهومها ، وشروطها، وقوعده وتطبيقاتها .

_ بعض العلل التي ذكرها كان متأثراً فيها بثقافته الأصولية واللغوية والنحوية المستمدة من العلماء السابقين فسايرهم فيها ولكنه اخضع تطبيقات هذه العلل إلى فنون الدرس البلاغي ، مثل(علة العناية)، و(علة الكراهه) اللتين استمدهما من النحويين وغيرهما من العلل التي اخذها منهم وطورها .

_ التميّز الذي ظهر واضحاً عند الجرجاني كان في ابتكاره العديد من العلل حيث تسمية المصطلح ومفهومه وتطبيقاته وهذا الامر يثبت صدارته في التأسيس لأصول الدرس البلاغي .

_ لا نجد لاحقيه من علماء البلاغة من لفت الانتباه إلى هذه العلل وحاول أن يورد حدودها وتفصيلاتها التي أوردها الجرجاني ويوضحها بالشكل الذي يُظهر مكانة هذا العالم مثلما فعل النحويون مع موضوع العلة والتعليل النحوي.

_ لم يلتفت الدارسون إلى هذا الدرس المغيّب من علم البلاغة وكانت وظيفتنا من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على هذه المنطقة المغيّبة كي تكون عوناً للدارسين المطلعين على تفاصيل الدرس البلاغي، تضيء لهم افكاراً لم تكن مضاءة.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

الـهوامش

[١]) ينظر: اسلوب التعليل في اللغة العربية ، أحمد خضير عباس:١٢، والعلة والتعليل بين النحاة والفقهاء، محمد بن حجر: ١٢، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم دراسة نحوية، يونس عبد مرزوك الجنابي: ٢٣.

[٢]) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٦٧.

[٣]) ينظر: الفروق في اللغة: ٦٥.

[٤]) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ: ٢/١٢٧٣-١٢٧٤، ولسان العرب، ابن منظور، مادّة (علل): ٦/٢٧٥.

[٥]) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، مادة (علل): ٤/١٢-١٣.

[٦]) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٩، ٣٠، ٤١، ٦٥.

[٧]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠، وينظر أيضاً: الفروق في اللغة: ٦٤.

[٨]) ينظر: الفروق اللغوية: ٦٥، ونكاد نستشعر هذا الفرق عند الجرجانيّ في مواضع ورود المصطلحين: (السبب) و(العلّة) من حيث إفرادهما عن بعضهما بعضاً، وسبق السبب لـــلعلّة عند عطفهما على بعضهما (ينظر على سبيل المثال: دلائل الإعجاز:٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٠).

[٩]) العلة عند الأصوليين، عامر مبارك بقنة: ٢، وينظر: إحكام الأصول في أصول الأحكام: ٣/ ٢٢٤.

[١٠]) تعليل الأحكام، محمد مصطفى شلبي: ١١٩، وينظر: مباحث العلّة في القياس عند الأصوليّين، عبد الحكيم عبد الرحمن السعدي: ٧٧، والقياس حقيقته وحجيّته، مصطفى جمال الدين: ١٨٣.

[١١]) دلائل الاعجاز:٧.

[١٢]) أسرار البلاغة: ٢٢.

[١٣]) ينظر على سبيل المثال موقفه من علّة الفضيلة والفائدة الواقعة في التجنيس، إذ يقول: ((**واعلم أنّ النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلّة في استجابة الفضيلة – وهي حسن الإفادة مع أنّ الصورة صورة التكرير والإعادة – ... لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه، إلا في المستوفي المتفق الصورة منه**))([١٣])، فالعلّة لا تظهر بشكل واضح في كلّ أنواع التجنيس.

[١٤]) دلائل الإعجاز: ٤١.

[١٥]) ينظر: تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، عبد الملك بو منجل: ٩٢

[١٦]) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني : ٢٩٢.

[١٧]) المصدر نفسه: ٢٩٢.

[١٨]) البخلاء: ٢٥.

[١٩]) أسرار البلاغة: ٢٢.

[٢٠]) ينظر: لسان العرب، مادّة (ثبت): ٢/ ١٩، وتاج العروس: ٤/ ٤٧٢.

[٢١]) ينظر: الوسيط في قانون الإجراءات الجنائيّة، أحمد فتحي: ٣٥.

[٢٢]) ينظر: دلائل الاعجاز: ٧١

[٢٣]) المصدر نفسه:٧١

[٢٤])المصدر نفسه:٧١

[٢٥]) المصدر نفسه:٧١

[٢٦]) المصدر نفسه : ٧٢.

[٢٧]) اسرار البلاغة:٩٧

[٢٨]) كتاب الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف: ٧٩.

[٢٩]) اسرار البلاغة:٢١

[٣٠]) ينظر: المعجم الوسيط: ١٧٤، والاحكام:١٧٥/٤

[٣١]) ينظر: لسان العرب:١١٧

[٣٢]) اسرار البلاغة:١٩

[٣٣]) الحيوان، الجاحظ: ١٣١-١٣٢

[٣٤]) المصدر نفسه: ٥٥٥.

[٣٥]) دلائل الإعجاز: ٥٥٥.

[٣٦]) المصدر نفسه: ٥٥٦.

[٣٧]) المصدر نفسه: ٥٥٧.

[٣٨]) دلائل الإعجاز:٨٨

[٣٩]) المصدر نفسه : ٤٢٣

[٤٠]) اسرار البلاغة:٤٠٩

[٤١]) المصدر نفسه : ١٧

[٤٢]) المصدر نفسه : ١٧.

[٤٣]) ينظر: ديوان أبو تمام: ٣٤١.

[٤٤]) ينظر: أسرار البلاغة: ١٧-١٨.

[٤٥]) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف: ١٩١.

[٤٦]) ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما "الأسرار والتلخيص" (دراسة موازنة)، حيدر حسين عبيد : ٦٣.

[٤٧]) اسرار البلاغة: ٨

[٤٨]) المصدر نفسه :١٢

[٤٩]) المصدر نفسه : ١٩.

[٥٠]) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ : ١٩٠.

[٥١]) أسرار البلاغة: ٧، والشواهد الشعريّة الواردة في النصّ في/ ديوان أبي تمام: ٣٩،أبو الفتح البستي ديوانه وشعره: ٣٢٢.

[٥٢]) ينظر: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص(دراسة موازنة): ١٧٥-١٧٦.

[٥٣]) ينظر: التعليل في كتاب اسرار العربية لابن الانباري، عفاف محمد فالح المقابلة: ٥٤.

[٥٤]) ينظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د. أحمد عفيفي: (١٥- ١٧).

[٥٥])الخصائص:٥٤/١

[٥٦]) دلائل الإعجاز: ٤٦.

[٥٧]) ينظر: حماسة أبي تمام، التبريزي: ١١٤/٣، (البيت للصمة بن عبدالله القشيري)، والليت: صفحة العنق، والاخدع: عرق في العنق.

[٥٨]) ينظر: ديوان البحتريّ: ٢/ ١١٨٠.

[٥٩]) ينظر: ديوان أبي تمّام: ٣٦٢.

[٦٠]) دلائل الاعجاز:٤٧.
[٦١]) ينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٤٥٩: ٤٧
[٦٢]) ينظر: ديوان أبي حيّة النميري:٤٧
[٦٣]) دلائل الاعجاز: ٤٨.
[٦٤]) المصدر نفسه:٥٨
[٦٥]) المصدر نفسه:٥٨
[٦٦]) دلائل الاعجاز: ٥٨، والبيت الشعري ينظر في ديوان أبي تمّام: ٢/ ١١٦.
[٦٧]) المصدر نفسه :٥٨
[٦٨]) المصدر نفسه : ١٠٧.
[٦٩]) ا:لمصدر نفسه :١٠٨
[٧٠]) المصدرنفسه :١٠٨
[٧١]) المصدر نفسه :١١٠
[٧٢]) المصدر نفسه : ٩٣.
[٧٣]) المصدر نفسه : ١٠٨.
[٧٤]) سورة طه ، آية : ٩٤ .
[٧٥]) سورة مريم ، آية : ٩.
[٧٦]) سورة المدثر، آية : ٤٣-٤٤.
[٧٧]) المصدر نفسه: ٤٧
[٧٨]) المصدر نفسه: ١٤٦.
[٧٩]) اسرار البلاغة:٣٣٣
[٨٠]) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٣١/٥ ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : 561/1 .للفيومي
[٨١]) ينظر: البرهان ، الجويني:١٠٧
[٨٢]) ينظر: سر الفصاحة:٣٥
[٨٣]) دلائل الإعجاز: ٦٠، ٦١.
[٨٤٨٤]) البيان والتبيين: ٥٧٣
[٨٥]) أسرار البلاغة: ٦٣.
[٨٦]) ينظر: النكت الاعتقادية ، الشيخ المفيد : ٣٥
[٨٧]) ينظر: كشف المراد، العلامة الحلي، ص٤٤٤
[٨٨]) اسرار البلاغة: ١٣١
[٨٩]) سورة الحج، آية: ٢
[٩٠]) ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٦٥.
[٩١]) سورة النور، آية : ٣٩
[٩٢]) ينظر: الصناعتين : ٣٦٥.
[٩٣]) المصدر نفسه: ٥٥.
[٩٤]) أسرار البلاغة: ٣٠٢-٣٠٣.
[٩٥]) ينظر: ديوان ابن المعتز: ٩٢.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) - المجلد ٤٦ - كانون الأول لسنة ٢٠٢١

[٩٦]) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٩٤.

[٩٧]) ينظر: ديوان دعبل: ١٧٩.

[٩٨]) ينظر: أسرار البلاغة: ١٨٧– ١٨٨.

[٩٩]) المصدر نفسه : ١٨٨.

[١٠٠]) المصدر نفسه: ١٢٢.

[١٠١]) ينظر: لسان العرب، مادّة (طبع): ٢٣٢/٨.

[١٠٢]) ينظر: الفروق اللغوية: ٧٣.

[١٠٣]) أسرار البلاغة: ٨.

[١٠٤]) المصدر نفسه: ١٣٩.

[١٠٥]) المصدر نفسه: ١٢٢.

[١٠٦]) ينظر: الطراز: ٣٥١.

[١٠٧]) اسرار البلاغة: ١٣٣

[١٠٨]) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عصفور جابر: ١٩٠.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم

٢ـ إحكام الأصول في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد الآمدي، دار الافاق الجديدة، ١٩٨٣م

٣ـ اسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر ،المدني للطباعة ،جدة ١٤١٢هـ -١٩٩١م

٤ـ اسلوب التعليل في اللغة العربية ، أحمد خضير عباس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،١٩٧١م

٥ـ أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم دراسة نحوية، يونس عبد مرزوك الجنابي ، دار المدار الاسلامي، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٤م.

٦ـ البخلاء

٧– البرهان ، الجويني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٨ـ البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف2003م

٩ـ البيان والتبيين، عمر بن بحر الجاحظ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

١٠ـ تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، عبد الملك بو منجل

١١ـ تعليل الأحكام: محمد مصطفى شلبي، الدار الجامعية للطباعة والنشر ،بيروت-لبنان ١٤٠٣ه-١٩٨٣م

١٢ـ التعليل في كتاب أسرار العربية لابن الانباري، عفاف محمد فالح المقابلة (اطروحة دكتوراه)، جامعة اليرموك كلية الآداب، الاردن، ٢٠١٥م.

١٣ـ حماسة أبي تمام، أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن حسن الخطيب التبريزي،دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٤ـ الحيوان، عمر بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

١٥ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن هشام، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، (د- ت).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤(ب) – المجلد ٤٦ – كانون الأول لسنة ٢٠٢١

١٦ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥ مدينة ٦ اكتوبر، مصر، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م

١٧ـ ديوان ابن المعتز، تحقيق :محمد بديع شريف، دار المعارف ، مصر،١٩٧٧م

١٨ـ ديوان ابي تمام ، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط٢

١٩ـ ديوان ابي الفتح البستي، تحقيق: دريد الخطيب، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٩م.

٢٠ـ ديوان البحتري ، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر ،ط٣، ٢٠١٧م

٢١ـ ديوان دعبل، شرحه عبد الصاحب الدجيلي ، مطبعة الاداب – النجف١٩٦٣م

٢٢ـ سر الفصاحة، عبدالله بن محمد سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م

٢٣ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عصفور جابر، المركز الثقافي العربي ،بيروت- لبنان ،ط٣ ،١٩٩٢م.

٢٤ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، مطبعة المقتطف، مصر (د- ت)

٢٥ـ ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د. أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة- مصر١٩٩٦م.

٢٦ـ العلة عند الأصوليين: عامر مبارك بقنة، عامر بقنه، الشاملة الذهبية٢٠١١م

٢٧ـ العلل النحوية بين القدماء والمحدثين وأثرها في تجديد النحو وتيسيره دراسة تحليلية مقارنة، د. الجيلي عبد العال ادريس عمر المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، السودان .

٢٨ـ العلة والتعليل بين النحاة والفقهاء، محمد بن حجر، مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠١٩م

٢٩ـ الفروق اللغوية ، الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ابو الهلال العسكري، تحقيق محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر ،١٩٦١م.

٣٠ـ - القياس حقيقته وحجيّته، مصطفى جمال الدين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٠م.

٣١ـ كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي١٩٥٢م

٣٢ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ت مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ط ١، ١٩٨١م

٣٣ـ كتاب الفن ومذاهبه ،في الشعر العربي، شوقي ضيف،دار المعارف ،القاهرة مصر ،(د- ت)

٣٤ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم ١٤٠٧هـ

٣٥ـ لسان العرب ،ابن منظور، دار أحياء التراث العربي، ٢٠١٠م

٣٦ـ مباحث العلة في القياس عند الأصوليّين، عبد الحكيم عبد الرحمن السعدي: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠م

٣٧ـ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت عبد السلام هارون: مادة عل، دار الفكر للنشر والتوزيع.

٣٨ـ المنهج البلاغي المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني في كتابيهما "الأسرار والتلخيص" (دراسة موازنة)، حيدر حسين عبيد دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م

٣٩ـ المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس،إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الخامسة عام ٢٠١١م.

٤٠ـ النكت الإعتقادية، محمد بن النعمان الشيخ المفيد، مؤسسة النشر الاسلامية ،طهران ١٤٢٣هـ .

٤١ـ الوسيط في قانون الاجراءات الجنائية، أحمد فتحي، دار النهضة العربية ، ٢٠١٦م